كُوُو كوا (Koyo Kouoh)، سلفُنا الصالح

فلوين سار (Felwine Sarr)
أستاذ مُرسّم بالجامعات ومُبَرّز في الاقتصاد
أستاذ متميّز في الدراسات الرومانية، والحاصل على كرسي آن-ماري برايان (Anne-Marie Bryan)، جامعة ديوك (Duke)
felwine@gmail.com

ماري هيلين بريرا (Marie Hélène Pereira)
المحافظة الرئيسية لبيت ثقافات العالم، برلين، ألمانيا
mariehelene@rawmaterialcompany.org

اجتمع في داكار في الرابع عشر من يونيو أصدقاء كُوُو كواه وعائلتها، والمتعاونون معها، وشركاؤها المهنيون لتكريم مسيرتها في الحياة والتذكير بأثرها الفنّي، وذلك إثر وفاتها مؤخراً. وقد نوّه بها الجميع، في كلماتهم وشهاداتهم المؤثرة، اعترافا منهم بأنّها كرّست حياتها لخدمة الإنسان من خلال رؤية التزمت فيها بروح الجماعة، وبقِيَم المحبّة، وبأخلاقيات العلاقة الإنسانية وجماليتها التي جعلت منها جوهر مشروعها الفنّي والثقافي.

واعترافاً بالإرث الذي خلّفته لنا كُوُو كوا ه، ارتأت مجلة غلوبال أفريكا أن تساهم في نشرصدى تكريمها هذا وتعزيزه وإبرازه، من خلال نشر كلمتَي الافتتاح والاختتام اللتين أُلقيتا خلال هذا اليوم التأبيني.

جبريل درامي (غداي)، صورة فوتوغرافية الْتُقطت خلال الاحتفال التكريمي لكويو كووو الذي نظمته © مؤسسة RAW Material Company 2025 في 14 يونيو.

How to cite this paper: Sarr, F. & Pereira, M. H. (2025). كُوُو كوا (Koyo Kouoh)، سلفُنا الصالح. *Global Africa*, (10), pp. 46-51.
Published: June 20, 2025
https://doi.org/10.57832/9317-pr35
© 2025 by author(s). This work is openly licensed via CC BY-NC 4.0

السيرة الذاتية

أسّست كُوُوو كوا ه «مؤسسة راو ماتيريال (RAW Material Company) سنة 2008، وأشرفت على برامجها الفكرية والفنية بهمّة عالية وإيمان راسخ بجدواها، حتى سنة 2019، حين تم تعيينها مديرة تنفيذية وأمينة عامة رئيسية لمتحف زايتس لفن إفريقيا المعاصر (Zeitz MOCAA)، بمدينة كيب تاون، في جمهورية جنوب إفريقيا. وفي سنة 2024 عُيّنت مديرة لقسم الفنون البصرية في الدورة الحادية والستين للمعرض الدولي للفنون ضمن بينالي في مدينة البندقية، وذلك بتزكية من رئيس المؤسسة، بيتّرانجيلو بوتافوكو (Pietrangelo Buttafuoco). دون أن تتوقف عن تقديم معارض ذات مضامين نقدية معاصرة في أصقاع العالم المختلفة ومن بين أبرزها نذكر المعارض التالية "حديث الجسد: النسوية، والجنسانية، وتمثّلات الجسد في أعمال ستّ فنانات إفريقيات» الذي نُظِّم لأول مرة سنة 2015 في مركز ويلز للفن المعاصر في بروكسل، بلجيكا كما تولّت مهام الإشراف الفنّي على معرض «ما زالوا هُم أنفسهم البرابرة»، في إطار الدورة السابعة والثلاثين لبينالي إيفا إنترناشيونال للفن المعاصر في إيرلندا، التي أُقيمت بمدينة ليمريك عام 2016.

شاركت كوُو كُواه في الدورة السابعة والخمسين من كارنيغي إنترناشونال (57th Carnegie International)، التي أُقيمت في بيتسبرغ، بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال المعرض الذي أقامته هنالك تحت عنوان : « احفر حيث تقف» (Dig Where You Stand)، الذي امتد بين سنتي 2018 و2019، وهو عمل كان ثمرة بحث معمّق، واتّخذ شكل معرض ضمن المعرض، استلهمته من مجموعات معروضة في متحف كارنيغي (Carnegie) للفنون والتاريخ الطبيعي كما بادرت ببلورة مشروع " إنقاذ بروس لي: السينما الإفريقية والعربية في زمن الدبلوماسية الثقافية السوفييتية" (Saving Bruce Lee: African and Arab Cinema in the Era of Soviet Cultural Diplomacy)، الذي عُرض بين عامي 2015 و2018 في متحف غاراج (Garage) للفن المعاصر بموسكو، ثم في بيت ثقافات العالم (Haus der Kulturen der Welt) في برلين.

وفي سنة 2013، ساهمت كوُو كُوا في الإشراف الفني على معرض «تحوّلات دوالا» (Douala Metamorphosis)، ضمن الصالون الحضري لدوالا (Douala) في الكاميرون، وهو معرض تناول التحوّلات الحضرية والاجتماعية في المدينة من منظور الفن المعاصركما شاركت سنة 2010 في تنسيق معرض :»تصرّف كأنك في بيتك: الضيافة المعاصرة في عالم متحوّل» (Make Yourself at Home: Contemporary Hospitality in a Changed World) الذي أُنجز بالتعاون مع راعية المعارض الدنماركية شارلوت باغر براندت (Charlotte Bagger Brandt)، وقد استضافه كونستال شارلوتنبورغ (Kunsthal Charlottenborg) في العاصمة الدنماركية كوبنهاغن.

جبريل درامي (غداي)، صورة فوتوغرافية التُقطت خلال الاحتفال التكريمي لكوبو كووو الذي نظمته © مؤسسة RAW Material Company 2025 في 14 يونيو.

عُرفت كوُو كواه بنشاطها وحيويّتها في الساحات النقدية الأفريقيّة والدولية على حدّ السواء، بحيث شغلت عضوية عدد من المجالس الإداريّة للمؤسسات الفنية والثقافية في العالم من ضمنها مجلس إدارة الهيئة الألمانية للتبادل الأكاديمي (DAAD) كما شاركت في عضوية لجان تحكيم العديد من الجوائز والمبادرات التقديرية المرموقة، منها جائزة تشيليستي (Celeste Prize) سنة 2015، ومركز فيرا ليست للفن والسياسة (Vera List Center for Art and Politics) الذي امتدت عضويتها فيه بين سنتي2018 و2020، وأخيرًا جوائز آرت بازل (Art Basel Awards) لسنة 2025، وهي مبادرة دولية تسعى إلى

تكريم الفنانين، ورعاة المعارض الفنية ، والفاعلين الثقافيين الذين يساهمون في إعادة تشكيل المشهد الفني العالمي من خلال ممارسات نقدية وتجريبية. هذا وقد خلّفت كوُو كُوا ه إرثًا مهمًا للغاية بصفتها مؤلّفة وناشرة ومديرة نشر وذلك عبر منشوراتها المتعددة ومن أبرز أعمالها نذكر ما يلي : «عندما نحدّق في أنفسنا: قرن من الرسم التشكيلي للفنانين سود البشرة « (2022) الذي تزامن صدوره مع المعرض الذي يحمل العنوان نفسه والذي افتُتح في متحف زايتس موكا (Zeitz MOCAA) في نوفمبر 2022؛ و"إسقاط بابل" (2022)، وهو أول دراسة شاملة توثق مسيرة الفنانة الجنوب أفريقية تريسي روز (Tracey Rose) و" لنتنفس خارج أسوار المدرسة " في أكاديمية راو (2021) و»تقريرحول تاريخ الفن في أفريقيا (2020)؛ و «كلمة! كلمة؟ كلمة!: عيسى سامب (Issa Samb) والشكل العصِيّ عن التأويل (2013) و"تقرير حول بناء المؤسسات الفنية في أفريقيا" (2012)، إلى جانب أعمال أخرى.

علاوة على ذلك أشرفت كوُو كواه على البرنامجين التعليمي والفني في معرض 1-54 للفن الأفريقي المعاصر في كلٍّ من لندن ونيويورك بين سنتي 2013 و2017، كما كانت ضمن المشرفين على تظاهرتين هما دوكيومنتا 12 (2007) ودوكيومنتا 13 (2012) في مدينة كاسل، بألمانيا.

وتقديرًا لإسهاماتها المتميزة حظيت في سنة 2020 بتكريم رفيع المستوى بنيلها جائزة ميريت أوبنهايم الكبرى (Grand Prix Meret Oppenheim)، وهو أفضل أوسمة الفن في سويسرا، ويُمنح لشخصيات بارزة في ميادين الفن، والهندسة المعمارية، والنقد، وتنظيم المعارض.

أمّا خلال فترة إدارتها التنفيذية لمتحف زايتس لفن إفريقيا المعاصر (Zeitz MOCAA)، أطلقت كوو كوا سلسلة من البرامج التجديديّة والمبتكرة، منها برنامج الإقامة الفنية في الورشة (Atelier Residency Program)، الذي وسّع من مجال أنشطة المتحف ليشمل الإنتاج الفني الميداني ويحتضن برنامج « الدقّة الوظيفيّة في العمل المتحفي» (Museum Fellowship Program)، الذي أُعدّ بالشراكة مع جامعة ويسترن كيب (Western Cape)، موجّهًا لصقل مهارات المهنيين والباحثين الشباب العاملين في المتاحف الإفريقية. هذا وقد بلورت رؤية متميّزة للأشراف على تقديم معارض تبرز في عمق وأصالة الإبداعات الفنية الفردية لفنانين وفنانات من القارة الإفريقية ومن الشتات الأفريقي، وقد أتاح لها مسارها المهني، سواء داخل مؤسسة راو (Raw) أو خارجها، أن تبرز أعمال هؤلاء الفنانين وتعرّف بهم على نحو لم يسبق له مثيل ومن هؤلاء نذكر: أوتوبونغ نكانغا (Otobong Nkanga)، ويوهانس فوكيلا (Johannes Phokela)، سينزيني ماراسيلا (Senzeni Marasela)، عبد الله كوناتي (Abdoulaye Konaté)، ترايسي روز (Tracey Rose)، وماري إيفانز (Mary Evans).

جبريل درامي (غداي)، صورة فوتوغرافية التُقطت خلال الاحتفال التكريمي لكويو كووو الذي نظمته © مؤسسة RAW Material Company 2025 في 14 يونيو.

كير كويّو (Kër Koyo) بقلم ماري هيلين بيريرا (Marie Hélène Pereira)

أنا ماري هيلين بيريرا، عضو في فريق مؤسسة راو ماتيريال كومباني (RAW Material Company) يشرّفني بأن أرحّب بكم باسم جميع أعضاء الفريق، وهم: فاطمة بنتو رسول سي (Fatima Bintou Rassoul Sy)، مامي فارما فال (Mame Farma Fall) بوروم خاليس (Borom Xaliss)، ماري سيسي (Marie Cissé)، فيلي جوي (Filly Gueye)، حاجة فانتا (Haja, Fanta)، كيري إيتولا فيدروا (Kerry Etola Viderot)، ماري فلافيين سامبو (Marie Flavienne Sambou)، أمينة سيسي (Aminata Cissé)، فاتو ساني (Fatou Sané)، وعمر كوني (Omar Koné).

أهلاً وسهلاً بكم، أو كما نقول:

بالوُلوف (Daal len ak jaam) أي»ادخلوا في سلام»،

بالفرنسية: (Nous vous souhaitons la bienvenue) أي "" مرحبا،

بالإنجليزية (Land in peace) أي " حطّوا بيننا في سلام".

مرحبًا بكم في مؤسسة «راو ماتيريال كومباني»، مركزا للفن والمعرفة والمجتمع. أجلْ، ولكنه قبل كل شيء هو تجسيم ل»كير كويّو" (Kër Koyo) "، أي بيت كوُو كواه، البيت الذي شيدته بساعديها في سخاء وبصرامة فكرية قلّ نظيرهما. إنّه بيتٌ يحتلّ فيه الإنسان مركز الصدارة في كلّ فكر ومهما كانت الممارسة. إنّه مأوى الفنّ والإنسانيّة.

لقد عرف كير كويّو عبر الزمن أناسا رائعين لكنّ يومنا هذا يوم لا مثيل له في الأيّام. إنه يومٌ مفعم بالحبّ وفي ذات الوقت موشّح بالحزن وتمتزج فيه مشاعر الأسى بالحيرة، لكن يغمره الأمل كما تغمره طاقةٍ ملهمة حامية.

أجل، إنّ بيت كوُو (Kër Koyo) تغمره المحبة اليوم، رغم غياب صوت صاحبته العذب وافتقادنا اليوم لأحضانها وعناقها لنا ترحيبا بنا في بيتها. لقد تكبّدتم عناء السفر، وجئتم اليوم في أعداد غفيرة، لتكريمها والاحتفاء بها في بيتها، ونحن نعرب لكم عن عميق امتناننا وامتنان هذا المكان لكل فرد منكم. فحضوركم إنما يدلّ، بما لا يدع مجالًا للشك، على أنّ كوُو، وإن غادرت عالمنا، فهي لم تتركنا يتامى. فروحُها ما انفكّت ترفرف بيننا، منذ أن صعدت إلى السماء لترتقي فجأة، في العاشر من أيار/مايو الماضي وتلتحق بمقام الأسلاف.

فمرافقة كوُو إلى مثواها الأخير يُعدّ دون شك من أكثر المهام إيلامًا التي اضطررنا إلى أدائها، بعد أن جمعتنا بها دروب ومسيرات ونضالات امتدت على مدى سنوات، منذ أن أسّسنا معًا مؤسسة «راو ماتيريال كومباني» في داكار بين عامي 2008 و2011، وحتى يومنا هذا، بل وإلى الأبد.

عزيزتنا كوُو،

إنّ جميع رفيقات دربك المناضلات في مؤسّسة راو (RAW) يتوجّهن إليك بالشكر العميق، المنبثق من صميم قلوبهنّ ، ويُهدينك هذه الكلمات المفعمة بالحكمة والوفاء، التي وردت بقلم الكاتبة الفذة ماريز كونديه (Maryse Condé)، التي طالما عبّرت عن محبّتك وإعجابك بها:

"إنّ الموتى لا يموتون حقًا، إلا إذا ماتوا في قلوبنا. إنهم يظلون أحياء ما دمنا نحبهم، ما دمنا نكرّمهم بإحياء ذكراهم، ما دمنا نضع على قبورهم الأطعمة التي كانوا يشتهونها في حياتهم، ما دمنا، بين الحين والآخرنجتمع في خشوع لاستحضارهم في صمت. تكفي كلمات قليلة لنناجيهم، ونستشعر أجسادهم اللامرئية تلتصق بأجسادنا في لهفة حتّى تكون دائما سندا لنا».

يُقال إنّه لا يمكن لإنسان أن يُدرك تمامًا معنى الفقد ما لم يحب في عمق ويفيض حنانه على أحبّته لم تكوني يا كوُو، مجرّد مُرشدة أو معلّمة، بل كنتِ بالنسبة إلينا جميعًا أمًّا حنونة، وعمّةً [أو خالة] عطوفة، وأختًا كبرى، ومستشارة ذا رؤية ثاقبة، ومنسّقة بارعة للتظاهرات الفنيّة برهنت من خلالها أنّك تتمتّعين بحسّ نادر في التنظيم والقيادة. لقد خلّف رحيلك إلى عالم آخر في قلوبنا لوعةً، وغرقنا في حِداد جعلنا نشعر بحزن دفين يخيّم علينا وإحساس ثقيلٍ بالفقد والفراغ كنتِ بحقّ قوّةً من قوى الطبيعة ومنبعا دائمًا للبهجة والفرح، والعطاء والحكمة. ورغم أنّ الحزن لا يزال يخيّم علينا والدموع تنهمر في أعيننا، فإنّ قلوبنا مشبعةٌ بالامتنان العميق لك، لأنّنا حظينا بشرف معرفتك ومؤانستك والتعلّم منك.

لقد كنتِ سيّدة التهليل والترحيب بامتياز، تتقنين فنّ الاستقبال، وتسهرين على راحة كلّ من حولك، فتعلّمنا منك إلى الأبد الشغف بإطعام الآخرين وإكرامهم، لكن دون أن يجرؤ أحد على المساس بـ»الميوندو" (miondo) فهو أكلتك المفضّلة والمقدّسة التي ينبغي ألّا يقترب منها أحد غيرك!

كنّا ننعم دومًا في راو (RAW) بما تحضريه لنا من الأطعمة المنزلية الشهية، وعصير الزنجبيل الذي يُنعش الجسد والروح. وكانت زجاجات النبيذ والشمبانيا حاضرة دائمًا، تحسّبًا لأمسية مرحة يملأها الضحك والسمر وقصّ الحكايات الممتعة . أما الأخوات المحظوظات، فقد كنّ يحظين بالطبع بالهدايا السخية: أحذية، وحقائب، وملابس تغدقينها على الجميع في فرحٍ وسرور!

كوُو، لقد أهديتينا إلى الطريق الصحيح، ورافقتِ مسيرتنا بمهنية راقية، وحرصتِ على رعايتنا ببصيرتك الثاقبة، بذلك الحدس الذي نعتبره واحدًا من أعظم مواهبك. كنت دائما تمتلكين تلك القدرة على تشخيص المشاكل التي تعترضنا وتعترض مؤسّسة « راوْ» وتستبصرين الحلول الملائمة لها. فكنتِ بحقّ ركيزة ثابتة نعتمد عليها.

لقد جمعتنا بكِ لحظات غامرة بالمحبة، مفعمة بالطاقة الإيجابية، اختلطت فيها الدموع بالفرح، وتداخلت فيها التحديات بالنجاحات. غير أنّ الطريق ما زال ممتدًّا أمامنا، وسنظل واقفات ثابتات على المبدأ، مستندات إلى الإرث الذي تركتِها لنا، وإلى الدروس العميقة التي علّمتِنا إيّاها.

شكرًا السيّدة كُوو لسموّ روحك وكرمك الفيّاض، إنّ الكلمات لتعجز عن أن تفيك حقّك والتعبير عن امتناننا لك، لكن قلوبنا تنطق بذلك كل يوم، وستظل تنبض به ما دمنا على قيد الحياة.

شكرًا لأنكِ مددت لنا ساعديك في كلّ الظروف والأحوال
شكرًا لأنكِ فسحت لنا الطريق، وفتحتِ أمامنا آفاقًا لم نكن لندركها دونك
شكرًا على نورك الساطع الذي لن يخبو أبدا
شكرًا على أُخُوَّتكِ النسوية الصادقة

شكرًا على تأسيسك ل " راو" (RAW Material Company) ورعايتك لها طيلة حياتك، وهي مدرسة تعلّمنا منها كيف نحيا. نعدك بأنّنا سنواصل مشروع « راو» مستلهمين منك روح الكفاح الذي خضتِه بإصرار، من أجل إرساء مؤسسة راسخة في خدمة الأجيال القادمة.

فلتكوني مباركة يا كوُو. وليستقبلك عيسى عليه السلام بذراعيه الرحبتين، كما عهدناه دائمًا، وأن تُرافق روحك النقية مسيرتنا إلى الأزل.

ها نحن اليوم نلتئم، أهلًا وأحبّة وزملاء، في مشهدٍ من الألفة والسكينة، لنُجسّد وفاءنا لكِ، ونحتفي بكِ كما كنتِ: مثالًا للرقيّ، والإشعاع، والقوة الهادئة. ستنهمر الدموع بالطبع حسرة على فقدانك والحزن لا مفرّ منه. مع ذلك، لن تغيب في هذا اللقاء الضحكات الصادقة والدفء الإنساني واستعادة نوادر تنبع من الذاكرة كما لن تغيب مائدة الطعام وأنغام تُبثّ في الأجواء وخاصة مشاعر الحبّ الصادق.

إنّ فريق « راوْ» رفقة أعضاء مجلس الإدارة: سيلفان سانكالي (Sylvain Sankalé,) ، وفيلوين سار (Felwine Sarr)، وروجيه بويرغيل (Roger Buergel)، ولايتيسيا كاتوار (Laetitia Catoir)، يرفعون إليك أسمى عبارات الامتنان والاعتراف بالجميل ويقولون لك بالوُولوف: "شكرًا لكِ يا كويّو، فلتنَعمي بالسكينة الأبديّة» (jërëjëf Koyo, Gacce ngalama).

جبريل درامي (غداي)، صورة فوتوغرافية التُقطت خلال الاحتفال التكريمي لكويو كووو الذي نظمته © مؤسسة RAW Material Company 2025 في 14 يونيو.

سرت أنغام الموسيقى في المكان بقلم فلوين سارْ (Felwine Sarr)

منذ صباح هذا اليوم سرت أنغام الموسيقى وقِيلت كلمات وسِيقت شهادات ومُورست طقوس وعُرِضت أفلام ورقصات وأُلقيت قصائد وتعاويذ وتخلّلت كلّ ذلك تأملات الفكرية، وتدفّقت مشاعر صامتة كامنة في النفوس قرأناها على الوجوه، وفاضت أحاسيس أخرى متدفّقة تنتقل من قلب إلى آخر لدى الحاضرين. لقد جئنا جميعًا حاملين جزءًا من شيء ثمين، لنُهديه لبعضنا البعض، لنُتقاسمه: كلمة نابعة من القلب، ابتسامة صادقة، إصغاءً عميقًا، فكرة، أو ذكرى حيّة.

منذ هذا الصباح، حضر أهل كوُو وأحبّتها: عائلتها، والداها، أصدقاؤها، مجتمعها الذي ألفته وانتقته لتتبادل معه المشاعر الصادقة، كلّ هؤلاء الذين اجتمعوا اليوم ليحتفوا بها، ليحتفوا بمَن كانت عليه، وبمن هي عليه الآن، وبمن ستظّل عليه في هذا الوجود الشاسع واللانهائي.ستظلّ كوُو تعيش في حياة لا نهاية لها، وستبقى حيّة في قلوبنا وعقولنا وأرواحنا .لقد اختارت كويو رسالتها كما اختارت وزارتها: أن تُغني روح الجماعة وأنْ تُوقظ الفكر وأن تُنمّي الإحساس وأن تُهذّب البصيرة وأنْ تنسج خيوط الترابط بيننا.

قد خلّفت كويو إرثًا متناثرا كالحبّ النفيس؛ إرثًا في شكل إشارة بليغة تُنثر بذورها في الآفاق، وقلبٍ مضيء يعكس أنواره في أرواح الآخرين، وجذوةٍ تُشتعل ضياء جديدا ينير الدروب المعتمة لهذا السبب نحن جميعًا هنا، كلّنا، مجتمعون حولها، نستشعر حضورها الذي لا يغيب. ليس ثمّة عبارات يمكنها أن تختزل أو تُوجز ما عشناه اليوم، ولا كلمات تعبّر عمّا يختلج في صدورنا من مشاعر وعمّا حدث فعلاً، أو مازال يشقّ مجراه بهدوء في أعماقنا. فالكلمات القليلة التي أودّ مشاركتها معكم هي امتدادٌ لتلك اللحظة المعلّقة في الزمن؛ استمراريةٌ لهذه الأجواء، ولشعور المشاركة العميقة، والحضور المتبادل، الذي وحّدنا جميعًا.

إنّ الكلمات القليلة التي أرغب في مشاركتها معكم ليست عبارات وعد أو تعهّد. فما هو أصدق وأبقى من الوعد، هو القول البسيط: أننا سنُواصل العمل والنشاط، ونمضي قُدما في الطريق الذي سطّرته كوُو لنا. سوف نمدّد في أثر تلك الإشارة النبيلة وسنتناقل الجمرة ونتلقّفها فيما بيننا، ونُواصل معا في توسيع دائرة النور.إنّ هذا العزم على الاستمرار في السير إلى الإمام في هذا الطريق ليسكن في مكانٍ خفيّ في أعماقنا، في موضعٍ تأوي إليه الأشياء الخارجة عن سلطان الزمن والتي تأبى النسيان. هذا اليوم لن ينقضي بانقضاء ساعاته، بل سيبقى ينبض بالحياة في بواطننا، وسنحمله على عاتقنا باعتباره عطيّة من كوُو، هبةٌ ثمينة منها بأن مكّنتنا بأن نعيش هذه اللحظة معا لتشاركنا إيّاها في غيابها.